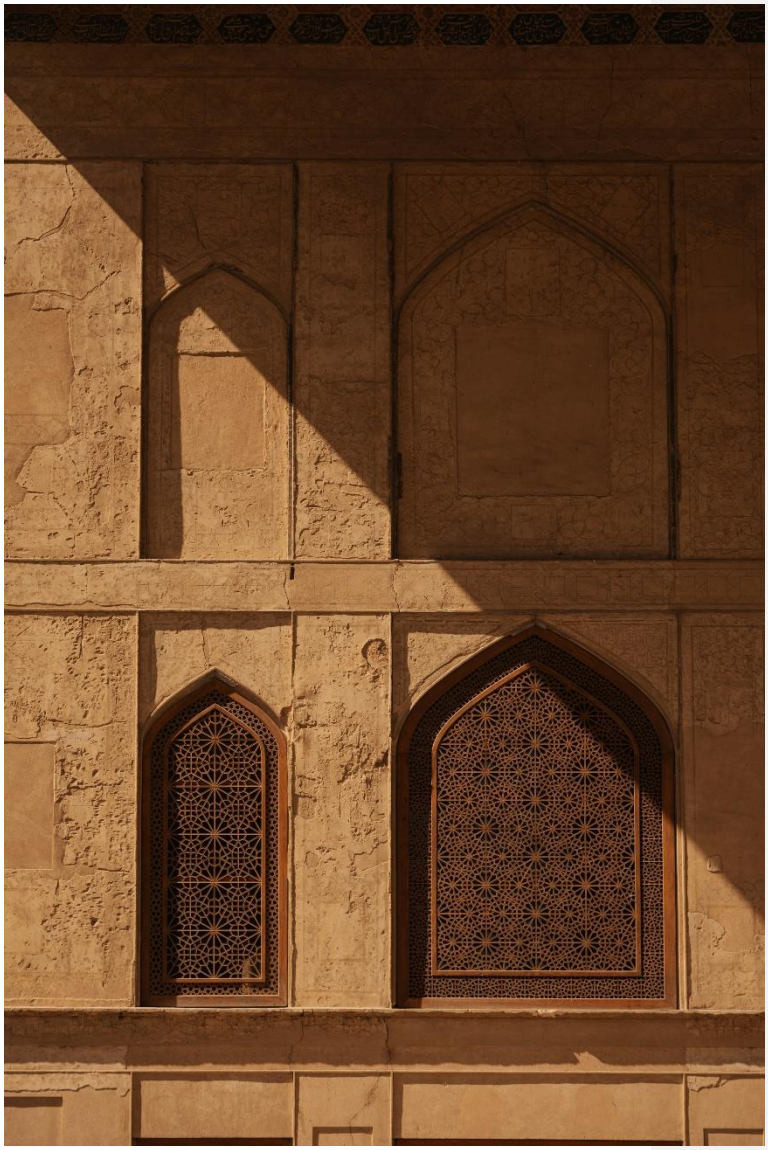

تفريغ محاضرة

الدعاء هو العبادة

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٥-٩-١٤٤٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

مبارك عليكم الشهر ومبارك عليكم هذه الليالي الطيبات، أسأل الله الذي رزقنا البلوغ أن يرزقنا التمام، وأن يرزقنا التمام بالقبول والعتق من النيران، وأسأل الله أن يجعلني وإياكم ومن يسمعنا من المعتوقين المقبولين الفائزين في هذا الشهر الكريم.

خُتم لقاؤنا الماضي -رمضانك الأول- بخطوات عملية، وكانت آخر خطوة هي: الزم باب الملك، وذكرنا أنه هو ما سنبدأ به لقاءنا اليوم بعون الله.

إن الدعاء أعظم أنواع العبادات، وكنت سأسمي هذا الدرس بـ أكرم العبادات؛ لما ذُكر من فضل الدعاء في هذا الحديث، قال النبي ﷺ: (ليس شئ أكرم على الله من الدعاء) أخرجه الترمذي، قال الألباني : حسن.

اليوم سنذكر عملين كنا نتواصى عليهما في كل رمضان، وهما ما أسميناهما العام الماضي بـ **جناحَي الهداية الرمضانية، وهما: القرآن والدعاء.**

اليوم سيكون حديثنا بشكل خاص عن الدعاء، لنحاول أن نفهم شيئاً من أسراره، ونعاون بعضنا على ذلك.

نحن الآن على مقارب انتهاء العشر الأول، الدرس القادم سنكون نحن في استقبال العشر الأخير، وما زال هناك من لم يجد قلبه للآن!

أو ربما يريد أن يحضر قلبه أكثر، فيدعو الله بكامل جوارحه، ويطرق بابه حتى يُستجاب له، ويبشره الله بما يسعد به ويرضى.

- **لماذا نقول أن الدعاء هو العبادة؟**

لأن هذا مما قاله النبي ﷺ: (الدعاء هو العبادة) أخرجه الترمذي، قال الألباني :صحيح.

من أين أتى بها النبي ﷺ؟ من قول الله عز وجل: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)(٦٠) سورة غافر

لاحظوا قول الله عز وجل! ذكر في بداية الآية: (ادْعُونِي) ثم قال: (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي)

إذن الذي يستكبر عن دعاء الله عز وجل هو الذي يستكبر عن عبادة الله عز وجل، فكأن العبادة هي الدعاء والدعاء هو العبادة.

عند الحديث عن الدعاء لا يمكن أن نتجاوز المفتاح الأول الذي تواصينا عليه في اللقاء السابق، وهو -الدخول من باب الافتقار-.

لا يمكن أن يُرفع الدعاء من مستغنٍ عن الله عز وجل، إنسان يدعو بطرف لسانه من غير اضطرار وحاجة!

إن الإجابة قريبة ممن يدعو الله وهو ذليل فقير، داخل على الله عز وجل بكامل فقره وحاجته إليه، قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(١٥)سورة فاطر

أقل وصف لي ولك ولجميع الناس أننا فقراء! محتاجون إلى الله عز وجل، فأنت لا تملك لنفسك لا ضرًا ولا نفعًا، فلا تظن أن أفعالك اليومية التي تمارسها هي بقوتك أنت! بل هي بقوة الله، ولولا الله لما فعلت شيئًا منها ولو فعلت ما فعلت، تذكر حالك عندما تُطرح على الفراش مريضًا، فلا تستطيع ولا تقوى أن تبلع الدواء أحيانًا من شدة الألم، إذن قوتنا وجبروتها على من؟

من أخصّ أوصاف البشر هو الفقر الحقيقي، ومن أخصّ أوصاف الله عز وجل الغنى الحقيقي.

قال الله عز وجل في الحديث القدسي: عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه) أخرجه مسلم في الصحيح.

قال ابن عطاء الله: تحقق أيها العبد بأوصافك، يتحقق الله بأوصافه.

تحقق أنت بأوصافك: من فقر وذل واحتياجك إلى الله عز وجل؛ يحقق الله عز وجل أوصافه لك: من الكرم والغنى والعطاء.

أنت تشهد غنى الله عز وجل في فقرك، تشهد قوته في ضعفك، تشهد قدرته في عجزك وتشهد لطفه في انكسارك؛ فأنت المنكسر الضعيف وهو الجبروت القوي.

- **ماذا لو نتأمل في حال أنبياء الله عز وجل وحالهم مع الدعاء؟**

- يونس عليه السلام كان في ثلاث ظلمات: ظلمة البحر وظلمة الحوت وظلمة الليل، فنادى في الظلمات: لا إله إلا الله سبحانك إني كنت من الظالمين. فيقول الله عز وجل: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ)(٨٨)سورة الأنبياء يونس عليه السلام لو لم يدرك أنه ينادي ربًا عليمًا عظيمًا قريبًا مجيبًا، كان لن يدعو!
- زكريا عليه السلام أيضًا عندما دعا الله بأن يرزقه ولداً له، ونحن دائمًا نستشهد بقصته؛ لأن جميع الأسباب تقول إنه لا يمكن أن يكون له ولد، فهو كهل كبير السن وزوجته عقيم أي لا تنجب مهما مضت عليها السنون! وهذا ما قاله: (كَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا)(٨) سورة مريم

ومع ذلك عندما دعا الله فقال: هب لي ابنًا وليًا صالحًا، فأعطاه الله فوق ما طلب! فأعطاه نبيًا وسيدًا ومصدقًا بكلمة الله.

فلاحظ كيف أن زكريا عليه السلام دعا الله بكامل افتقاره وذلّه وعجزه! أكرمه القادر رغم عدم توفر الأسباب.

البخاري رحمه الله، صاحب كتاب صحيح البخاري الذي يشمل على أكثر من أربعة آلاف حديث، كان قبل أن يكتب أي حديث يتوضأ ويصلي ركعتين يستخير ويدعو الله بهما، لماذا؟ لأنه كان يُدرك أن نقل سنة النبي ﷺ مسؤولية عظيمة ثقيلة، فكان يطلب العون من الله عز وجل قبل بدايته بأي حديث، ما هي النتيجة؟ أنه يُذكر إلى يومنا هذا وإلى الأجيال التي بعدنا، ولا تأتي كلمة عن الإسلام إلا وتجده مقترناً بما قاله وأخرجه البخاري ومسلم، واتفق العلماء على الوصف الذهبي: أصح كتاب بعد كتاب الله هو البخاري.

نحن يجب أن نتعاهد على تعظيم الله في قلوبنا والسعي إلى تثبيت الافتقار لله فيها كذلك، حيث إنه إذا افتقر قلبك لله وعرفت أنه لا منجأ ولا ملجأ إلا بالله فأنت بهذا تحقق شهادة أن لا إله إلا الله.

- **كيف نصل إلى معنى الافتقار لله عزوجل؟**
  - أن تعرف الله عز وجل.
  - أن تعرف نفسك.

١- <u>تعرف الله عز وجل:</u> نعرف الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وهذا أنفع شيء للعبد، ولذلك تجدون الكثير من دروسنا نأخذ فيها اسماً من أسماء الله عز وجل؛ لأنك لا يمكن أن تعبد من تجهل! ما هي آخر معلوماتك عن الله عز وجل؟ كيف علاقتك مع الله عز وجل؟ كم مدى حُبك لله عز وجل؟ إذا كنت

تجهل معنى اسم الله الجبار، الشافي، اللطيف والودود، هذه الأسماء والصفات كلها إن غاب عنك معناها وسبب نزولها ومواضعها في القرآن وما هي مواضع الدعاء بها، والأحاديث التي نصّت على فضلها، إذن كيف ستحب الله عز وجل؟

عندما نقرأ كل يوم سورة الفاتحة ويمرّ بنا اسم الله (الرحمن الرحيم)، هل يخطر على بالك أشكال الرحمة؟ هل تستشعر رحمة الله لك في أيامك؟ هل علمت أبناءك ما هي صور الرحمة؟ ماذا يعني اسم الرحمن الرحيم؟ ما مستوى فهمنا لأسماء الله عز وجل؟

قد نفكر أننا ندرك معاني أسماء الله، لكن الحقيقة لا! أصلًا هل تفكرت يومًا بمعنى اسم الله؟ سُمي الله لأن القلوب تألهه بمعنى تُحبّه، فسمي الله، ولذلك كان دعاء الكرب: الله الله ربي لا أُشرك به شيئًا؛ فالله يعلم أنك في لحظة الضر لا تقوى على قول شيء! فمن رحمته أنه جعلها تشمل فقط على اسم الله.

عندما نتعلم أسماء الله الحسنى نجد أن كل اسم لله سبحانه نحتاجه في حياتنا، فترى نفسك مجبولاً على حب الله عز وجل، فتبدأ تبحث عن ما يرضي الله لتفعله، عندما تبدأ تتعرف على الله يبدأ قلبك بالشوق إليه.

الذل والافتقار يأتي من البوابة الأولى: أن تعرف أسماء الله لا يعني أن تفتح أمهات الكتب وتقرأ منها! يكفيك القرآن، افتح القرآن وانتبه لأوصاف وأسماء الله، الله يتجلى لعباده في كتابه؛ فيتجلى لهم بأوصاف الجلال والهيبة والتعظيم، وتتلمس جبروت الله وعزته وعظم ملكه، فيرجف القلب خوفاً ثم يتجلى الله عز وجل بصفات الجمال والكمال والجلال.

تأمل قول الله عز وجل: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ)(٣٣)(الأنفال) أي لأنك أنت يا رسول الله ﷺ موجود معهم لن أعذبهم.

قال تعالى:(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ)(البقرة)(١٤٤)

فتخيل رسول الله ﷺ وهو يقلب وجهه وتخيل أن الأمر السماوي يأتي من فوق إلى تحت؛ لأن الله رأى النبي ﷺ وهو يقلّب وجهه، قال تعالى:(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا)(البقرة)(١٤٤)

أي أن الله سيعطيك ما تريد، فالنبي ﷺ كان يتشوق أنه يسجد للكعبة وجاءه ما أراد.

إذن هذا فقط حينما تعرف الله عز وجل، ومن القرآن الله يتجلى لعباده.

٣- تعرف نفسك: أنت مين؟ أنت الضعيف الفقير، أنت الذي عجزت عن الثبات على ما يأمرك الله به خوفًا من نفسك والناس.

هذا الأثر عن بني إسرائيل الرجل الذي قيل إنه ملك من الملوك، فمرّ في طريق، فرأى جمجمة قد عفا عليها التراب، فتذكر شريط حياته، ونزل من فرسه وخرّ ساجداً مباشرة إلى الله عز وجل، وقال: يا رب، أنت أنت! لم يقل شيئا آخر! فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان: أن اذهب إلى عبدي وقل له: إن الله قد غفر لك.

هي لحظة وحدة.. لحظة من لحظات الذل والافتقار قد يكتب الله عز وجل فيها سعادة الدنيا والآخرة هي لحظة.. لكن تدعو الله فيها بقلب صادق.

- **لماذا نحتاج الدعاء؟**

- إن الدعاء هو باب الاصطفاء: الدعاء هو باب الدخول على الله، فإذا كنت تائهًا في رمضان ولا تعلم ماذا تفعل في نفسك، الزم باب الدعاء؛ فالله لا يوقف عند بابه إلا من يريده، فعندما تجد فتح الله عليك بالدعاء اعلم أن الله يريدك وأن الله يريد أن يحقق سؤالك، قال الله عز وجل: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ) (٦٠)(غافر)

ولذلك قال عمر-رضي الله عنه-: **إني لا أحمل همّ الإجابة ولكن أحمل همّ الدعاء**، بمصداق الله عز وجل في الحديث القدسي أنك إذا دعوت الله فالله يستجيب! قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٦٠)(غافر)

وهذا هو اليقين، لكن المحك الحقيقي أنك أنت تدعو الله وتحمل هم الدعاء أم الإجابة؟ كثير من الناس تغيرت وتبدلت أحوالهم لأنهم لزموا باب الله بالدعاء؛ فالدعاء ينتشلك ويغيرك من حال إلى حال،

وكم من أناس يحاولون علاج أنفسهم من أي شيء سنوات طويلة بالخطوات والتدريج ومساعدات خارجية، ويفشلون! ثم بدعوة بلحظة ذل وافتقار ينتشله الله عز وجل من الشيء الذي فيه كأنه لم يكن.

قال النبي ﷺ : ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء، أخرجه الترمذي، قال الألباني : حسن.

قال ابن القيم-رحمه الله-: **إن الله عز وجل كلما سألته، كرمت عليه، ورضي عنك، وأحبك.**

الله هو الذي يفتح أبوابه، ويحب منا أننا نعود، فما قال: يحب التائبين. بل قال: يحب التوابين. وكلمة تواب: يعني يخطئ ويتوب، يخطئ ويتوب، يخطئ ويتوب.

ولذلك أيضاً جاء في الحديث عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ:(إنه من لم يسأل الله يغضب عليه) أخرجه الترمذي، حسن.

فأنت إن لم تسأل الله إذن هناك إشكال! الله يغضب إن لم يُسأل، وهو يحب الملحين عليه في الدعاء، ولذلك كلما ألححت في الدعاء أحَبك الله عز وجل.

كيف يستجيب، متى يستجيب، أين يستجيب، كيف.. ليس هو المهم، المهم هو أن الله سيستجيب بأعظم وأكرم مما تتخيل.

عن أبي سعيد، أن النبي ﷺ قال: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها) قالوا: إذا نكثر، قال: «الله أكثر»، أخرجه أحمد في المسند، حديث صحيح.

إذن أنت في ربح في كل مرة ترفع يديك لله، فإما أن:

١- يستجيب الله لك دعوتك مباشرةً.

٢-يخبئها لك في الآخرة.

٣-يصرف عنك سوءاً بها.

فلا يحزن قلبك عندما تدعو الله ولا ترى الاستجابة! لأن الله يكون له تدبير آخر أجمل مما تتمناه أنت، قد تكون الإجابة في وقت أنسب لك، وقد تكون الإجابة شراً لك فالله يستبدلها لك أن يدخرها في الآخرة.

- **ما هي شروط الدعاء؟ التي لا يقبل الدعاء إلا عند اكتمالها..**

١- <u>عدم الاستعجال</u>: عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي)، أخرجه البخاري في صحيحه.

من صفات الإنسان أنه عجول، يود أن تتحقق دعواته مباشرةً، قال الله عز وجل: (وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولا) (١١) (الإسراء)

قال أحد السلف : أنا لا أخشى أن أُحرم الدعاء، بل أن أُحرم الإجابة. أي إنني لا أخشى أن لا يستجيب لي الله! بل أخشى أن يحرمني الله من لذة قربه ولزوم بابه، كانوا يدعون الله بقلب مطمئن، متى ما كتب الله قبول الإجابة ستكون.

٢- <u>حسن الظن واليقين بالإجابة</u>: ما هو اليقين؟ قال أحدهم : قال اليقين أنك أثناء الدعاء لا يخطر في بالك قط أن الله يردك.

أي أن تدعو الله دون أي يخطر في بالك أن دعوتك قد تُردَّ أصلًا، يقول النبي ﷺ : (إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها) أخرجه أحمد في المسند، حديث صحيح.

الإنسان لو عُرضت عليه أقداره وخُيّر بها لما عرف يختار منها ما هو خير له، فلا يعلم كيف يدبر أموره، لذلك ما يختاره الله عز وجل للعبد هو ما فيه الخير له دومًا.

كان يقول أحدهم: لو كان يوم القيامة و قيل لي أين تحب أن يكون حسابك عند الله أو عند أمك وأبيك، لقلت لهم عند الله؛ لأنه أرحم.

يقول الله عز وجل في الحديث القدسي : عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) أخرجه البخاري في صحيحه.

يقول القرطبي، **ما هو ظن عبدي بي؟ قال: أن يظن الإجابة عند الدعاء.**

عندما تستغفر الله من ذنوبك ومعاصيك! لا تدعُ الله بطرف لسانك، إنما ادعُ الله وأنت موقن بالقبول منه، وأنت موقن بالإجابة منه، لا تكن نيتك فقط الأجر، إنما اجعل نيتك القبول لدعواتك والغفران لذنوبك، فالله عند ظنك به.

عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «لا يقول أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له»، أخرجه الترمذي في السنن، حديث صحيح.

وعن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه»، أخرجه الترمذي، حديث حسن.

فالقلب الغافل اللاهي عن عظمة وجبروت الله ليس كمثل القلب الخاشع الحاضر الذي يدعو بتذلل وفقر لله عز وجل.

٣- <u>إطابة المطعم</u>: الأكل الحرام حجاب غليظ عن قبول الدعاء، الناس التي تعمل في البنوك المحرمة الربوية، أو تتعامل بالأقساط والفوائد، أو دخل في مالك شيء من الحرام هذا يجعل بين دعائك وبين الله حجاب، قال النبي ﷺ: إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، ثم ذكر رجل أشعث أغبر، يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب يا رب، فأنّى يُستجاب له.

لا تستهن بفكرة أكل الحرام، تعلّم وعلّم من حولك عندما يأتيك عرض للتوظيف أن يتحرى عن البنوك في الشركة، فيبتعد عن البنوك الربوية، أو القروض في الفوائد، انتبه لها ونبّه من حولك.

هذه كانت إلماحة عن شروط الدعاء الثلاثة.

إذن نأتي الآن لكيفية أداء آداب الدعاء كما يجب.

- **ماهي آداب الدعاء؟**

آداب الدعاء كثيرة ومعروفة منها ..

١- <u>البدء بالدعاء بالحمد والصلاة على النبي ﷺ</u>: تعلم عندما تريد أن تحمد الله عز وجل أن تحمده كما علمنا النبي ﷺ، وهي موجودة في كتيبات صغيرة تُباع ويجب أن لا يخلو منها بيت.

من ضمن الصيغ التي قد تحمد الله فيها:

*اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق والجنة حق.

*اللهم ربي لك الحمد حمدا طيبا كثيراً مباركاً فيه كما تحب وترضى.

*اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا.

احمد الله بهذه المحامد، ثم احمد الله بحمدك أنت، بالنعم التي أكرمك الله بها عليك، واستحضر كل شريط حياتك، في لحظات الرخاء والشدّة، وقل: يا رب لك الحمد، أنا الصغير الذي كبرته، وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد، وأنا التائه الحائر الذي هديته فلك الحمد.. ابدأ بحمد الله حتى يرجف قلبك، ويرى الله مدى امتنانك له على ما أنعم به عليك، لا تبدأ بالدعاء قبل أن يرق قلبك لله، ثم صلِّ على النبي ﷺ وابدأ في دعواتك.

٢- <u>الطهارة واستقبال القبلة</u>: استشعر فعل النبي ﷺ لذلك، فإنه إن كان بين الناس وطلبوا منه الدعاء، كان يقوم فيتطهر ويستقبل القبلة ثم يدعو.

٣- <u>الإلحاح في الدعاء</u>: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لَمَّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ إلى المُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بربِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِه العِصَابَةَ مِن أَهْلِ الإسْلَامِ لا تُعْبَدْ في الأرْضِ، فَما زَالَ يَهْتِفُ بربِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ، فأتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فأخَذَ رِدَاءَهُ، فألْقَاهُ علَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِن وَرَائِهِ، وَقالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فإنَّه سَيُنْجِزُ لكَ ما وَعَدَكَ، فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال: ٩]، فأمَدَّهُ اللَّهُ بالمَلَائِكَةِ، أخرجه مسلم في الصحيح.

نختصر ذلك في موقف النبي ﷺ حينما كان يرى كفار قريش وهم تجاوزا الألف نفر، وصحابة النبي ﷺ ثلاثمئة نفر فقط، وكانوا لا يملكون السلاح الكافي، فالعقل والمنطق يقول إنها معركة خاسرة، لكن النبي ﷺ وقف واستقبل القبلة وألحّ على الله، وقال: اللهم أنجز ما وعدتني اللهم أنجز، حتى سقط رداؤه من كفيه حتى رأينا بياض إبطيه.

قال النبي ﷺ ، قال: «إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين»، أخرجه الترمذي، حديث صحيح.

عن ابن أبي موسى، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي، وعمدي وجهلي وهزلي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»، صحيح البخاري.

كان يستطيع النبي ﷺ أن يختصر ويقول : ربي اغفر لي ذنبي كله، لكن النبي ﷺ يريد أن يعلمنا الإلحاح بالدعاء.

٤- شكاية الحال: اشكِ حالك إلى الله عز وجل، كما اشتكى يعقوب عليه السلام إلى الله عندما قال: اللهم إني أشكو بثي وحزني إليك، وعندما قال أيوب عليه السلام: ربي إني مسني الضر وأنت خير الراحمين.

اشكِ حالك له، ضعفك وانكسارك وقوة تحملك وقلبك الضعيف المكسور، اللهم لا تحملني مالا طاقة لنا به، أنت ترى حالي يا رب وتسمع دعائي وأنت البصير العليم بحالي، فيا رب ارشدني إليك.

لا يخطر في بالك أن الله لن يجيبك! ولا تسمح للشيطان أن يأتي إليك!

تأمل في حال موسى عليه السلام عندما سقى الفتاتين، وقال ربي إني لما أنزلت إليّ من خير فقير! قال الله عز وجل:(فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) (القصص)(٢٤)

فماذا كانت الآية التي تليها؟ قال الله عز وجل:(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (القصص)(٢٥)

بدأ بعدها التمكين والنبوة والزواج، هذا فقط لأنه اشتكى حاله إلى الله!

هل سيتركك الشيطان لو وصلت إلى هنا؟ لا، يأتي لك بحبلين من أحبال الشيطان، وهناك خدعتان يدخل منها للعبد المؤمن، هما:

١- **يضعف يقينك بالله عز وجل** ويجعل سوء الظن يتسلل إلى قلبك، كيف؟ بأن يجعل قلبك مشغولًا بصعوبة ما تطلبه من الله، يكون هناك صوت داخلي صغير أثناء دعائك أن الله لن يغير حالك، وأنك مهما فعلت فالله لن يستجيب لك مباشرةً وغيرها من الأفكار،

انتبه منها! ادعُ الله وأنت موقن بالإجابة، وإن أتاك هذا الصوت فاعلم أنه مكيدة من الشيطان وحديث نفس أمارة بالسوء، فأنت تعلم أن الشيطان يجعل قلبك مشغولاً بصعوبة المطلوب.
ما الذي يجعلك لا ترى صعوبة المطلوب؟ لأنك تعلم أن ربك رحيم عظيم، رب المستحيلات.
الله عز وجل جعل النار بردًا وسلامًا لإبراهيم، قال الله عز وجل:(يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (الأنبياء)(٦٩)

لو تسألين نفسك هل ممكن الله يغير حالي في رمضان؟ نعم ممكن، قد لا تشرق عليك شمس العشر إلا والله عز وجل هدى قلبك، وغير حالك إلى أحسن حال، لا تسأل كيف ومتى! الله هو المدبّر لذلك..

قد يكون دعاؤك الذي تدعو الله به منذ سنوات قريباً لك! يقول الله عز وجل: (هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ)(مريم) (٢١)

٢- **أن يأتيك بسيئاتك وذنوبك**، ويأتي بها كلها أمامك، كيف؟ يبدأ الشيطان يوسوس لك أنه لا يمكن أن يجيب الله من هم أمثالك.. إذا بدأت تشعر بالقنوط من رحمة الله فاعلم أن هذا من حديث الشيطان والنفس الآمارة بالسوء.

الله عز وجل يقول:(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ)(طه) (٨٢)
ما معنى غفار؟ أي كلما أذنب العبد ذنبًا يغفر الله له ما أذنب، فلا تيأس من نفسك ولا تظن أن الله عز وجل لن يستجيب.
هذان الحبلان من حبائل الشيطان، والله عز وجل هو الكريم والقادر، ولن يأذن الله عز وجل أن يوقفك عند بابه ثم يمنع عنك الإجابة، الله لن يرد يديك صفرًا، والله لن يصطفيك للدعاء ثم يرد عنك القبول والغفران.
لكن هي لها وقت، ولها حكمة، فعندما ندعو يجب أن نفهم فكرة العطاء وفكرة المنع من الله عز وجل، وأوصيكم بمتابعة الدكتور طلال حسان عن وصل الدعاء والعطاء والمنع من الله عز وجل.

<u>الله عز وجل عندما يعطي، وعطاءات الله تختلف عن تصورك وعلمك القاصر الصغير، فالله عز وجل الواسع يعلم السر وأخفى ويعرف قصة حياتك كلها إلى آخر عمرك وإلى يوم القيامة، ولذلك يعرف ما الذي ينفعك وما الذي يضرك.</u>

- **ما هي الحكمة من المنع والعطاء؟**

١-أن الله عز وجل قد يعطيك إجابة أهم من إجابتك لسؤالك الذي طلبته، فالاستجابة قد لا تأتي بحصول المطلوب لكن تأتي بالمقصود من المطلوب، ماذا نعني بذلك؟ تخيل سعيك إلى وظيفة مرموقة ذات راتب عالي، تأمل الحصول عليه حتى تحسّن من وضعك ووضع أهل بيتك وأن تكرمهم وتجود عليهم مما جاد الله به عليك، فتدعو الله بهذه الوظيفة، لكن الله قد يبدلك خيرًا منها، بأن يبارك لك في رزقك وإن كان أقل من الوظيفة التي ترجوها، لكن الغاية التي ترغبها قد تحققت لك ببركة المال وليس بكثرته.

فقد يبارك الله لك بستة آلاف ما لم يباركه بخمسة وعشرين ألفًا، وهذا من نعم الله على الإنسان، أن الرزق الحلال الطيّب هو من أسباب بركة المال ولو كان قليلًا.
أن تملك هذا النوع من القناعة والعزة والطمأنينة والرضا بما عندك وبما وهبه الله للآخرين، فلا تنظر لهم بعين الحقد والحسد ولا تنظر لنفسك بنظرة الانتقاص والخجل من نفسك، لأنك رضيت بما كتبه الله لك فأرضاك الله.

٢- أن الله عز وجل هو الحكيم، فيعطي لحكمة ويمنع لحكمة، قد لا نعرفها نحن، ومن هذه الحكم: أن الله عز وجل قد يؤخر عنك الإجابة لأن الله عز وجل لو أعطاك ما دعوت الآن كان فيه ضرر لك، لربما طغيت! تجبرت! هل شاهدتم مريضا كان مقعدًا، ثم أنعم الله عليه بالصحة والعافية فطغى وتجبّر بعد مرضه؟ رغم أن المتوقع أن يتوب الإنسان ويزيد من طاعته وعمله الصالح، إلا أن ما حصل عكس المرجو.

وهذا ما حصل في فترة كورونا، توقع الناس أن جميع العصاة سيرجعون إلى الله ويتوبون إليه، لكن هل هذا ما حصل فعلًا؟ هناك قلوب أصبحت ناقمة على الدنيا وتحمل الكثير من الفجر والفسوق،

إذن قد يؤخر الله عنك الفرج لما فيه خير لك، فالله يعلم أن المريض لو تشافى سيطغى ويتجبر ولذلك يمد له في المرض، والله في ألطافه يمد عليه المرض لكن لازالت ألطاف الله تجري عليه؛ فمثلًا يجعله يرى الدنيا بعين مختلفة، عين تزهد الدنيا وترجو ما عند الله من خيرات وأجور.

فيأتي الشفاء في الوقت الذي يريده الله عز وجل، وتأتي الهداية في الوقت الذي يريده الله عز وجل، ويأتي عطاء الله عز وجل في الوقت الذي يريده، ولذلك لو الله عز وجل أعطاك ما تريد لن يكون مناسبًا لك في الفترة الحالية من قصة حياتك!

كل ما عليك هو أن تسلم أمرك لله عز وجل وتدعو الله به لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، لكن أهم أمر أن تدعو وشعور الطمأنينة والرضا يرافقك طوال أيامك.

أمر الله عز وجل هو بين الكاف والنون، يقول أحد الصالحين: **إني لأفرح إذا تأخرت الإجابة، فأنا أريد التعجيل والله يريد التأخير، وما يريده الله أحبّ إليّ مما أريده.**

يقول ابن مسعود إن العبد إذا انفتح له باب تجارة أو منصب وظيفي كبير، فينظر الله إليه فيقول لملائكته: اصرفوه عنها فإني إن يسرتها له أدخلته النار!

فلا تحزن على شيء واعلم أن قضاء الله عز وجل أعظم وأحسن من قضائك، يقول الشيخ السعدي: يظل العبد كارهًا، ولو عرف أن الله عز وجل صرف عنه ما يضرّه لشكر الله على ذلك.

٣-أيضًا من فقه حكمة المنع والعطاء أن تعلم أن اختيار الله للعبد خير من اختيار العبد نفسه، فربك كريم قادر لم يمنعك لبُخلٍ ولا لعجز، فاستحضر أسماء الله عز وجل فهو الحكيم، أخّر الإجابة لحكمة، وهو اللطيف فمنع عنك ما يضرّك وهو الرحيم ورحمك فاستجاب الله دعاءك بالشيء الذي يعلمه الله عز وجل هو الأصلح لك، ولذلك يقول النبي ﷺ:«عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»، أخرجه الترمذي في السنن، حديث حسن.

فكل ما عظُم البلاء عظُم الجزاء، يقول ابن الجوزي: تطويل الدعاء وتأخير الإجابة هذا من البلاء إذا طال فيك البلاء طالت دعوتك، فأنت تدعو وربي لا يستجيب لك إذن هناك حكمة بالصبر على بلاء عدم الإجابة، وهذه عبارة مخصوصة بالصبر.

وكذلك عبادة انتظار الفرج هي من أحب العبادات إلى الله، لما فيها من اليقين الصادق بالله عز وجل وفرجه ولطفه.

تذكر يعقوب عليه السلام كم صبر على فقد يوسف عليه السلام، وابنه بنيامين كذلك، وهو يقول:(وإني أعلم من الله ما لا تعلمون) (يا بنيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف ولا تيأسوا) ستة عشر سنة يدعو! أي قلب هذا الذي ينتظر الفرج من الله، هي منازل و مقامات عالية عند الله.

العمر الذي نعيشه قصير، لا يهمّك عمرك ولا يهمّك بلاؤك لكن انظر لما تصنع مع بلاءات الله عز وجل، وإن العبد ليكتب الله عز وجل له المنزلة في الدار الأخرة فلا يبلغها بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بصبره على البلاء. فقد تكون هذه بوابتك إلى الجنة، هذا البلاء هو الذي سيدخلك الجنة دون حساب ولا سابق عذاب!

يقول بعض السلف: **إني لتكون لي عند الله حاجة فأدعوه فيفتح الله لي من لذيذ معرفته حلاوة مناجاته ما لا أحب معه أن تُقضى حاجتي، خشية أن تنصرف نفسي.**

فهو يقع في البلاء ولكنه يقول إن الله فتح عليه بأن جعله يناجيه طوال الوقت، فعندما تذكر البلاء ترغب أن تتقرب إلى الله عز وجل بمختلف العبادات حتى تطيب نفسك.

يقول يحيى بن سعيد: كنت في أفريقيا فعرضت لي حاجة من حوائج الدنيا فلبثت ادعو فيها ليل نهار، فلم تُقضَ حاجتي حتى لُمت نفسي، فذهبت إلى خالد بن عمران فقلت له ذلك، فقال لي: لا يهمّنك ذلك، فإني كنت أسمع أن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يبارك لعبدٍ في حاجة، أذن له فيها بالدعاء.

أي أن من فتح الله له عليه بالدعاء في أمرٍ، بورك له فيه، إذن عندما تدعو الله عز وجل في أمر وتتأخر عليك الإجابة فالله يريدك أن تدعو فيبارك لك في الحاجة التي طال دعاؤك بها، وقد بورك لعبد في حاجةٍ أكثرَ من طرق الباب فيها على الله.

تخيلوا مثلًا أن يطلب ولداً من الله، فلا يأتي إلا بعد خمس سنوات، إنما يأتي مباركًا طيبًا حسنًا، فهذه عطاءات الله عز وجل، لذلك الله إذا أراد إن يُبارك لعبدٍ بارك له في هذه الحاجة، وإذا رأيت الله عز وجل يُطلق لسانك فيها فاعلم أن الله عز وجل يريد أن يبارك لك فيها.

إذا رأى أو علم الإنسان أن الله عز وجل يؤخّر الإجابة فلا بد له أن يحتسب النية في ترك الحكمة لله عز وجل في أمره.

فيرجع العبد إلى نفسه ويقوّمها ويقول لها: ما تأخرت الإجابة إلا لذنب بينك وبين الله، هذا الحديث لا يُقعد ولا يجعل الإنسان ييأس ولكن يجعله يتوب ويستغفر طريحًا ومفتقرًا إلى الله عز وجل، يا ربّ ولو كنت أنا العبد الملطخ بالذنوب ولو كنت أنا أسوأ عبادك ولو كنت أنا أسوأ خلقك، فيا رب لا تحرمني جودك، ويا رب لا تحرمني خير ما عندك بسوء ما عندي ويا رب عاملني بما أنت أهله ولا تعاملني بما أنا أهله، أنا أهل السوء وأنا أهل لكل شيء سيء، لكن يا رب أنت أهل الجود وأنت أهل الكرم فيا رب عاملني بما أنت أهله ولا تعاملني بما أنا أهله، أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي وارحمني وقرّبني إليك، وأعنّي على مرضاتك.

إذا أردت أن تدعو فتحقق من هذه المعاني كلها، كل ما تكلمنا عنه هذه الليلة هي أسرار من أسرار الدعاء إذا أراد الله عز وجل بعبده خيرًا أذن الله عز وجل له بها.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم من المهديين وأن يجعلنا من الفائزين في هذه الليالي وأن يجعلنا من المعتوقين المقبولين الذين يحبهم الله عز وجل الله ويحبونه.

هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها